جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

النثر العباسي

م/ الجاحظ

استاذ المادة: م.د. سفيان عبدالواحد الجبوري

2025 م ---------- 2026 م

عمرو بن بحر الجاحظ:

تميّز العصر العباسي الأول بالثراء والرخاء والانفتاح على ثقافات مختلفة والإقبال على العلوم والآداب والتوجه إلى التأليف والتصنيف وقد نبغ رجال عظام في شتى المعارف رفدوا المكتبة العربية بتراث قيم تعاقبت الأجيال على الاحتفاظ به والإفادة منه، ويعد الجاحظ - وهو من رواد الأساليب الرفيعة في الكتابة - من أبرز هؤلاء الرجال العظام الذين خلَّدوا أنفسهم بعطائهم الفكري من خلال الكنوز النافعة التي اوجدوها.

مولده ونشأته:

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، لقِّب بالجاحظ لجحوظ عينيه، ولد في البصرة حوالي سنة 160 للهجرة وتوفى أبوه وهو صغير، وفي مدينته التي كانت آنذاك محج طلاب العلم والمعرفة.

تعلَّم مبادئ القراءة والكتابة في أحد كتاتيبها، وحينما أصبح يافعاً أخذ يتردد على حلقات العلم التي تعقد في المساجد ويتردد إلى سوق المربد ليتلقى الفصاحة من شفاه العرب الذين يفيدون إلى هذه السوق.

والى جانب طلب العلم والمعرفة كان يلتمس أسباب العيش عن طريق العمل، وقد قيل: أنّه كان يبيع الخبز والسمك على ضفاف نهر صغير بالبصرة يعرف بسيحان، ويبدو أنّ أمّه كانت في بادئ أمره تتولى الإنفاق عليه وقد روى أنها ضاقت به حين رأته منهمكاً في اقتناء الكتب والجلوس إليها ساعات طوالا، وطلب منها يوماً طعاماً فجاءته بطبقٍ مليءٍ بكراديسٍ أودعها البيت فقال: ما هذا ؟

قالـت: هـذا الـذي تجـيء بـه، فخـرج مغتمـاً وجلـس فـي الجـامع ومـويس بـن عمـران جـالس، فلمّـا رآهُ علـى هـذه الحالـة قـال لـه: مـا شـأنك ؟ فحدّثـه الحـديث فأخـذه المنـزل وقـرَّب إليـه الطعـام وأعطـاه خمسـين دينـاراً، فـدخل السـوق واشـترى دقيقـاً، وغيـره، وحملـه الحمـالون إلـى داره فـأنكرت الأم ذلـك، وقالت: من أين لك هذا ؟ قال: من الكراديس التي قدمتِها إليَّ !

ولكـن هـذه الحالـة لـم تـدوم طـويلاً، إذْ إنهالـت - عليـه الهـدايا والعطايـا بعـد إن اشـتهر امـره بـين النـاس وعـرف بـين كتّـاب عصـره بقلمـه الرفيـع وإنشائه البديع.

أخلاقه:

كـان الجـاحظ يمتلـك شخصـية قويـة وإرادة فـذة ، وكـان متفـائلا يبـدو عليـه السـرور بسـيطا متواضـعا يخـالط النـاس جميعـا سـواء كـانوا أغنيـاء أو فقـراء حـريص علـى مواعيـده وأوقاتـه وفيـاً لأصـدقائه صـادقا فـي أقوالـه محـب للنظـام صـبورا متقنـا لعملـه ومتفانيـاً فيـه ، بعيـدا عـن الفوضـى ومـا يقلـق الإنسان متجنبا الحاسدين ولم يكن متزمتاً في رأيه.

تهكمه وتندره:

عـرف الجـاحظ بـالظرف والمفاكهـة والتنـدر وأخبـاره فـي ذلـك كثيـرة نجـدها مبثوثـة فـي كتبـه ورسـائله وقـد اسـتطاع أن يجعـل ظلـه خفيفـا عنـد الجميـع مع أنه كان دميم الوجه قبيح الشكل جاحظ العينين.

لقـد كـان مريحـاً مقتـدرا علـى الضـحك والاضـحاك مـتمكن مـن تلطيـف النفـوس وإبعـاد السـأم والضـجر عنهـا وتهـذيبها والإنسـان يـتعلم بالضـحك أكثـر مما يتعلم بالتهجم والعبوس .

مؤلفاته:

كان الجاحظ نابغة عصره، لم يدع باباً من أبواب المعرفة إلا طرقه، وأصدق ما يوصف به أنّه موسوعة أو دائرة معارف، فقد بلغت مؤلفاته ما يقارب المئة والستين ولعلَّ في كلام سبط ابن الجوزي مبالغة حين قال: ألّفَ خمسين وثلاثمئة مؤلف بين رسالة في بضع صفحات وكتاب في بضعة مجلدات، وذكر أنه رآها في أول القرن السابع في مشهد أبي حنيفة في بغداد.

وهي مفيدة ونافعة بعضها رسائل أشبه ما نسميها اليوم بالبحوث مثل التربيع والتدوير ومناقب الترك وفخر السودان على البيضان وفي الجد والهزل وغيرها كثر.

نثره واسلوبه:

كان الجاحظ كاتباً بارزاً مشهوراً في جميع الأوساط في العصر العباسي، وبقيت شهرته إلى يومنا هذا، له طريقة خاصة عرف بها امتدت آثارها إلى آمادٍ بعيدة يتداولها الدارسون جيل بعد جيل حتى أصبحت فيما بعد مدرسة من مدارس الكتابة العربية، لها خصائصها، ومميزاتها ، يعود إليها الباحثون في دراساتهم ينهلون منها المواد الأولى في الإنشاء العربي ومن أبرز صفات هذه الطريقة ما يلي:

أولاً: مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

فهو يقول: ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقام حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ويقسم

اقـدار المعـاني علـى اقـدار المقامـات واقـدار المسـتمعين علـى اقـدار تلـك الحالات)).

ثانياً : البيان والابتعاد عن حوشي الكلام وغريبه ووضوح الدلالة:

فهـو يقـول: ((علـى قـدر وضـوح الدلالـة وصـواب الإشـارة وحسـن الاختصـار ودقـة المـدخل يكـون إظهـار المعنـى، وكلمـا كانـت الدلالـة أوضـح وافصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان انفع وأنجح)).

ثالثاً: الاستطراد:

وأراد بـه دفـع الملـل والسـآمة عـن القـارئ وتفكيهـاً للـنفس وترويحـاً لهـا مـن التعـب العنـاء وتنشـيطاً لمتابعـة القضـايا والمسـائل التـي يتناولهـا بالبحـث والاستقصاء .

رابعـاً: مـزج الجـد بـالهزل والضـحك والمـرح لتحبيـب القـراءة والمتابعـة وشحذ الذهن وتجديد النشاط.

خامساً: العناية بالألفاظ وتركيب العبارات والجمل بلا تكلّف أو تصنّع:

فهـو يقـول: ((إذا كـان المعنـى شـريفا واللفـظ بليغـا وكـان صـحيح الطبـع بعيـدا عـن الاسـتكراه ومنزهـاً عـن الاخـتلال مصـوناً عـن التكلـف صـنع فـي القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة)).

سادساً : التلوين الصوتي أو الموسيقي:

الــذي يعتمــد علــى الســجع يــأتي عفــو الخــاطر والمزاوجــة التــرادف والجمل الاعتراضية.

ومــن هنــا يمكــن القــول: أنّ الجــاحظ رُزِقَ اســلوبه القبــول فــي القلــوب، لصــدقه، و واقعيتــه، ودقتــه، وتوافقــه بــين اللفــظ والمعنــى، ولــذلك اكتســب الخلــود واستحق أن يكون المعلم الأول في الإنشاء العربي.